التشبيه الضمني في ديوان الإمام الشافعي

أمان جيء هأمأ[1]

الملخص

يتناول هذا البحث التشبيه الضمني في شعر الإمام الشافعي، وهو من أبرز أنواع التشبيه في ديوانه. رغبةً في معرفة مدى امتلاك الشافعي لمقومات الشعر، وذلك من خلال المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ حيث تمَّ تحليل شعر الشافعي الذي صاغه في صورة التشبيه الضمني، ببيان المشبه والمشبه به ووجه الشبه، وبيان بعض سمات التشبيه الضمني التي تتسم بها أشعاره. وتأتي في نهاية هذا البحث النتائج، التي من أهمِّها: أنَّ التشبيه الضمني من أبرز أنواع التشبيه في ديوان الإمام الشافعي، وقد استخدم الشافعي هذا الأسلوب للوصول إلى هدفه وغايته، وخاصة في إقناع المخاطب بنقل واقعة إلى المخاطب، فيأتي بدلائل وبراهين على صحة اقتناعه، وقد يستخدمه الشافعي وسيلة لتوجيه المخاطب وإرشاده، كما يستخدمه سبيلًا للتوبيخ. وقد جاء في التشبيه الضمني في شعر الإمام الشافعي قدر غير قليل على النمط الفنِّيّ الذي تجري دماء الصورة في أوصاله، وترتجف أجنحته محلّقةً في آفاق التخييل، ويتراءى فيها الإمام وهو يصبُّ ماء خياله الخصيب.

الكلمات المفتاحية: التشبيه الضمني، الإمام الشافعي، ديوان الشافعي.

Abstract

This paper deals with the implicit analogy in Imam Shafi'i's poetry. It is one of the most prominent types of analogy in poetry. The desire to know the extent of Shafi'i elements of poetry. This is done through the descriptive analytical approach. Shafi'i's poetry, which he designed, was analyzed as an implicit analogy. With a statement of the similarity and the likeness. And to show some of the inherent analogy features of his poems. It comes at the end of this search results: The most important of which are: The implicit analogy is the most prominent analogy in the Imam Shafi'i poem. Shafi'i has been used this method to reach his goal and purpose. Especially in persuading an addressee to convey an incident to addressee. He comes with evidence and proofs of his conviction. Shafi'i's way was used to guide the addressee. Also, he used as a reprimand. The implicit analogy in Imam Shafi'i's poetry is quite a bit on the artistic style in which the blood of the image takes place. His wings tremble, hovering in the horizons of imagination. The Imam is seen as pouring water into his fertile imagination.

Keywords: Implicit analogy, Imam Shafi'i, poem of Shafi'i

[1] Aman Chehama; Faculty of Arabic Language, Sultan Sharif Ali Islamic University, Brunei Darussalam; E-mail: abumikdaam@gmail.com

المقدمة

على الرغم من شهرة الإمام الشافعي (١٥٠هـ-٢٠٤هـ) بوصفه إمامًا من أئمة المسلمين الكبار، وكونه صاحب أشهر المذاهب الفقهية الأربعة، وأوسعها انتشارًا، فإن أكثر الناس لا يعرفون أنه كان إمامًا وحجة في اللغة، وذلك بشهادة العلماء، وإلى جانب ذلك كان الإمام الشافعي شاعرًا متميّزًا، إذ كان راوية لشعر هذيل، وحافظًا لشعر سبعين شاعرًا من شعرائها.

ولكن يرى بعضهم أن شعره ذو شبه بشعر الفقهاء، إلا أنه عند مقايسة قامته الشعرية تبين أن شعره كان نمطًا متميّزًا في دنيا القريض، وخاصة في الأبيات التي صاغها في الصورة التشبيهية الضمنية، إذ يلجأ إلى صور تشبيهية مبتكرة، يترك فيها المألوف، وذلك نزوعًا إلى الابتكار، وهذا النوع من التشبيه البديع لا تجده إلا عند فحول الشعراء، والشعراء الموهوبين، لأن هذا التشبيه يمتاز بالدقة، والخفاء، والابتكار، وقوة الترابط بين الطرفين.

وقد بلغ عدد مرات ورود هذا التشبيه في ديوان الإمام الشافعي عشرة مواضع، وهذا النوع من التشبيه يدل على مدى امتلاك الشافعي لأدوات الشعر، مما أتاح له أن يصوّغ كثيرًا بهذا النوع من الصياغة الفنّيّة المونقة.

وهذا يقتضي من الباحث أن يجري كلامه في هذه الدراسة على فقرة يتناول فيها ما شهده الباحثون من أن الإمام الشافعي حجة في اللغة، وأنه شاعر مجيد متميز. ثم يتناول بعد ذلك عن التشبيه الضمني، مفهومه وجمالياته، ومواضع التشبيه الضمني في ديوان الإمام الشافعي، وذلك من خلال المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ حيث يقوم بتحليل شعر الشافعي الذي صاغه في صورة التشبيه الضمني، ببيان المشبه والمشبه به ووجه الشبه، وبيان بعض سمات التشبيه الضمني التي تتسم بها أشعاره. حتى تتبين جماليات شعره، وتبرز نبوغه وموهباته في دنيا القريض.

الشافعي حجة في اللغة وشاعر متميز

كلام العرب شعرًا ونثرًا مصدر من مصادر الاحتجاج به في اللغة بعد كتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد بكلام العرب المستشهد به كلامُ القبائل العربية الموثوق بفصاحتها، وصفاء لغتها في الجاهلية والإسلام، إلى أن فسدت الألسنة بالاختلاط مع الأعاجم، وفشا اللحن. [1]

[1] انظر: فجال، محمود. (٢٠٠٧). الاحتجاج في العربية: المحتج بهم، زمان الاحتجاج. بحث منشور على شبكة الألوكة. على الرابط https://www.alukah.net/literature_language/0/253/ آخر زيارة (٢٠١٩/٥/٣م). جبل، محمد حسن. (د.ت). الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته. القاهرة: دار الفكر العربي. ص: ٦٥.

وقد اضطرب علماء العربية في تحديد عصور الاحتجاج اضطرابًا واضحًا، فلم يكن لهم رأي حاسم في تحديدها، ولكن السائد عند المتأخرين أن عصور الاحتجاج عصران، ينتهي أولهما في منتصف القرن الثاني في الحواضر، وأما ثانيهما فعصر الاحتجاج في البادية، وهو مختلف فيه، فيرى بعضهم أنه ينتهي بنهاية القرن الثالث، ويرى بعضهم أنه منتصف القرن الرابع، وحدده بعضهم بنهايته[1].

والشافعي نشأ في بيئة عربية، وهي مكة المكرمة، وعاش في عصر الاحتجاج، فهو حجة في كلامه وعباراته، يصح الاستشهاد بما يستعمله من الألفاظ، لأنه يكتب ويتكلم بلغته على سجيته، ويتخير من لغات العرب ما يشاء. ولقد كان الشافعي فصيحَ اللسان، ناصعَ البيان، في الذروة العليا من البلاغة، تأدّب بأدب البادية، وأخذ العلوم والمعارف على أهل الحضر. فكان له محلٌّ من اللغة، شهد به أهلها[2]، حتى عدّوا قوله حُجّة فيها، وجعلوه كبطنٍ من بطون العرب[3].

وإلى جانب نبوغه وتفوّقه في اللغة، تبحّر الشافعي في الشعر، فحفظ أشعار هذيل حتى جاء إليه علماء اللغة ليتَلَقَّوا منه ما كان يحفظ من شعر الهذليين، أو ليصححوا ما يشكّون فيه. ولكن رسالة الشعر عند الشافعي تعتبر مكمّلة لعمله كفقيه، فللشعر عنده وظيفة اجتماعية خُلُقيّة تنحصر في الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، ونشر مكارم الأخلاق، وقد التزم الشافعي نفسه بهذه الرسالة في كلّ ما قاله من شعر في مراحل حياته المختلفة.[4] فلم يكن من همّ الشافعي إذن أن يبرع في الشعر، ولو أراد لبزّ فحول عصره، وهو القائل:[5]

وَلَوْ لَا الشِعْرُ بِالعُلَماءِ يُزْرِي لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيْدِ

وَأَشْجَعَ في الوَغى مِن كُلِّ لَيْثٍ وَآلِ مُهَلَّبٍ وَبَنِي يَزِيْدِ

ومع تركه التفرُّغ للشعر، وإقباله على العلم كان له سهم مصيب في دنيا القريض، وأجمع العلماء على روعة شعر الإمام الشافعي [6]حتى قال عنه أبو العباس المبرّد (ت٢٨٦هـ): كان الشافعيُّ مِن أَشعَرِ النّاس، وآدَبِ النّاس،

---

[1] انظر: الصاعدي، عبد الرزاق. (٢٠١٧). هذه عصور الاحتجاج. مقالة منشورة على شبكة مجمع اللغة العربية الافتراضي. المدينة المنورة. على الرابط http://almajma3.blogspot.com/2017/06/blog-post.html آخر زيارة (٢٠١٩/٥/٣م)

[2] انظر: البيهقي، أحمد بن الحسن، أبو بكر. (١٩٨٧). الردّ على الانتقاد على الشافعي في اللغة. عبد الكريم بكّار (محقق). بريدة: دار البخاري. ص: ٣٢.

[3] انظر: البيهقي. (١٩٨٧). الردّ على الانتقاد على الشافعي في اللغة.مرجع سابق. ص: ٢٩.

[4] انظر: أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. بروناي دار السلام، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، مركز بحوث المذهب الشافعي: مجلة الشافعي. ع:١ . ص: ١٣٤.

[5] الشافعي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. محمد عبد الرحيم (جامع وشارح)، بيروت: دار الفكر. قطعة رقم ٦٠. ص: ١٩٧.

[6] انظر: أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. مرجع سابق. ع:١ . ص: ١٤٥. الشعكة، مصطفى. (١٩٩٠). الإمام محمد إدريس الشافعي. مرجع سابق. ص: ٢٣. الزعبي، محمد عفيف. (١٩٧١). ديوان الشافعي. محمد عفيف الزعبي (محقق). بيروت: دار الجيل. ص: ٣. صالح الشاعر. (٢٠٠٦). ديوان الإمام الشافعي. صالح الشاعر (محقق). القاهرة: مكتبة الآداب. ص: ٧.

وأعرفهم بالقراءات.[1] وقال عنه ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ): وأمّا محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتنانًا في الشعر.[2] ولكن إحسان عباس ينفرد برأي خاص يختلف عن آراء الدارسين الآخرين، إذ يرى أن شعر الشافعي ذو شبه بشعر الفقهاء، وإن كان في المستوى التعبيري أعلى من عامة منسوب شعر الفقهاء.[3] وليس ذلك فحسب، بل ذهب إلى أبعد من هذا، وأخرجه من زمرة الشعراء، فقال إنه بسبب اتجاهه العلمي الديني لا يصنّف الشافعي في الشعراء، وإنما يطل عالماً كبيرًا جزل الأسلوب، ذا قدرة على تطويع اللغة لتعبّر عن نظرته ومبادئه الأخلاقية.[4]

وعقّب عارف كرخي على هذا الرأي بقوله: ونحن لا نتفق مع إحسان عباس في رأيه، إذ ليس من الدقة أن يصنّف شعر الشافعي على أنه شعر علماء، فهذا القول قد يشير إلى التكلف، وندرة الخيال، والقصد إلى الإرشاد المباشر، وشعر الشافعي أبعد ما يكون عن ذلك، فهو قريب من القلوب، ذو لغة سهلة–إلا فيما ندر– وإذا برز فيه أحيانًا أثر للفقه ومصطلحاته–مثل زكاة الجاه، النصاب، القياس– فهو أمر لا يستغرب، لأنه شعر صادر عن طبع صادق، فقد برزت فيه ملامح شخصيته، كتقواه، وعلو همته، وترفعه عن الصغائر، وتواضعه، وعفوه عمن أساء عليه.[5] ثم أورد أكثر من اثنى عشرة قصيدة من ديوان الإمام الشافعي، وعدّ بأنه في رأيه من عيون الشعر[6]

وقد أحسن مصطفى السواحلي في دراسته ومعايشته لشعر الإمام الشافعي، حيث قرر أنَّ الشافعي كان يمتلك مقومات الشاعرية الفذّة، وذلك بعد مقايسته لقامته الشعرية من ثلاث جهات هي: امتلاك أدوات الشعر، ومعالجة شتى الأغراض، والصياغة الفنية. فقد وصل السواحلي إلى أن الشافعي قد حاز أدوات الشعر، لأنه امتلك من الموهبة والثقافة أوفى نصيب، إذ نبغ في الشعر صغيرًا، ومع ذلك كان حاضر البديهة، وسرعة الجواب، ولذع السخرية، أما عن ثقافته فقد تضلّع الشافعي من الثقافة اللغوية والأدبية وهو في صدر شبابه، حيث دخل إلى بادية هُذَيل، وبنو هذيل من أفصح العرب وأشعرهم، وقد أقام الشافعي عندهم مدة طويلة، ثم

---

[1] الذهبي، محمد بن أحمد، أبو عبد الله. (١٩٩٠). سير أعلام النبلاء. شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوس (محققان). بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم . ج:١٠. ص: ٤٥.

[2] القيرواني، الحسن بن رشيق، أبو علي. (٢٠٠٠). العمدة في صناعة الشعر ونقده. النبوي عبد الواحد شعلان (محقق). القاهرة: مكتبة الخانجي. ج:١. ص: ٤٣.

[3] انظر: أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. مرجع سابق. ع:١ . ص: ١٤٦. وعباس، إحسان. (٢٠٠٧). ديوان الشافعي. إحسان عباس (محقق). ط٣. بيروت: دار صادر. ص: ٦.

[4] انظر: أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. مرجع سابق. ع:١ . ص: ١٤٦. وعباس، إحسان. (٢٠٠٧). ديوان الشافعي. مرجع سابق. ص: ٧.

[5] أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. مرجع سابق. ص: ١٤٦–١٤٧.

[6] انظر: أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. مرجع سابق. ص: ١٤٦–١٤٧–١٥٠.

عاد وقد شرب الفصاحة من معينها. ولا ريب أن امتلاك تلك الأدوات–الموهبة والثقافة– عامل حاسم في تحقيق الشاعرية المبدعة، فالقضية–كما قال السواحلي–ليست هي التناقض المطلق بين الفقه والأدب، وإنما هي قضية تمكُّن من المادة الأدبية نظمًا ونثرًا إلى ملكة قوية، وذوق مهذب، وإن كان صاحب ذلك إمامًا في الفقه، ورأسًا في العلم.[1] وتدل على شاعرية الشافعي أيضًا معالجته شتى أغراض الشعر، إذ يكاد يتفق النقّاد على أن الشاعر إذا كان واسع التصرُّف في أغراض الشعر تقدَّم على نظيره الذي لا يحسن إلا غرضًا واحدًا، أو أغراضًا محدودة، والشافعي قد تطرق بشعره كافة الموضوعات، ويحلّق بجناحَيْ بيانه في شتى الأغراض.[2]

وأما بالنسبة للصِّبْغة الفنية، فقد جاء قدر غير قليل من شعر الشافعي على النمط الفنِّيّ الذي تجري دماء الصورة في أوصاله، وترتجف أجنحته محلّقةً في آفاق التخييل، ويتراءى فيها الإمام وهو يصبُّ ماء خياله الخصيب، فتخضرُّ دوحة شعره من كل زوج بهيج.[3] وخاصة فيما سنراه في أبياته التي فيها التشبيه الضمني.

التشبيه الضمني: مفهومه، وسماته، وجمالياته

التشبيه هو لون من ألوان التعبير الفطرية التي تنثال على ألسنة الناس الخاصة والعامة، الكبار منهم والصغار على حد سواء، لأُلفة الناس له. وهو من فنون البيان، له أثره وخطره في الأسلوب، فهو يجعل البعيد قريبًا، والخفي ظاهرًا، والغائب حاضرًا مشاهدًا، والمستحيل ممكنًا، والمختلف مؤتلفًا.

والتشبيه لغة يعني المماثلة والمحاكاة...وتشابه الشيئان أشبه كل واحد منهما صاحبه.[4] أما بلاغيًّا: فله تعريفات كثيرة، أشهرها أنه: التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. [5]

والتشبيه رأس علم البيان وأساسه الذي يقوم عليه الأسلوب الآخر وهو الاستعارة، فمن غاب عنه إدراكه غاب عنه الوصول إليها. وهو بهذه الحال تشترك فيه الأمم جمعاء، لأنها تصور أحاسيسها عن طريق التشبيه الذي هو أقرب الطرق في الوصول بمعناه إلى النفس، وعلى سبيل الخصوص هو فن أصيل عند العرب، جرى في كلامهم، وتناولته أشعارهم، وبنيت عليه خطبهم.

وللتشبيه أقسام كثيرة متعددة، فهو يُقسم تبعًا لأركان التشبيه، وتبعًا لمادة التشبيه، وتبعًا للإفراد والتعدد والتركيب، وتبعًا للتمثيل وغير التمثيل، وتبعًا لوجه الشبه، وما فيه من قرب أو غرابة.

---

[1] انظر: السواحلي. (٢٠١٥). شعر الفقهاء في الميزان: الإمام الشافعي نموذجًا. بروناي دار السلام، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، مركز بحوث المذهب الشافعي: مجلة الشافعي. ع: ٢. ص: ٨٠–٨٥.

[2] انظر: السواحلي. (٢٠١٥). شعر الفقهاء في الميزان: الإمام الشافعي نموذجًا. مرجع سابق. ص: ٨٠–٨٥–٩٠.

[3] انظر: السواحلي. (٢٠١٥). شعر الفقهاء في الميزان: الإمام الشافعي نموذجًا. مرجع سابق. ص: ٨٠–٩٠–٩١.

[4] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين. (د.ت). لسان العرب. عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي (محققون). القاهرة: دار المعارف. ج:٢٤. ص: ٢١٨٩.

[5] القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو عبدالله. (٢٠٠٥). الإيضاح ومعه بغية الإيضاح. ط١٧. القاهرة: مكتبة الآداب. ص: ٣٨٤.

فإذا تجاوزنا هذه التشبيهات، فإننا نجد نوعًا من التشبيه لا يأتي على أي صورة من صور التشبيه المعروفة، وهذا النوع من التشبيه سماه البيانيون بالتشبيه الضمني.

فالتشبيه الضمني هو تشبيه خفي غير صريح، لا يأتي على أي صورة من صور التشبيه المعروفة، ولا يرد فيه المشبه والمشبه به صراحة، بل يلمحان ويفهمان من تضاعيف الكلام، ولذلك سمي ضمنيًا، وهو ثري بالمعاني والمباني، ليس لأنه أبرز أنواع التشبيه وأشهرها، بل لأنه يتسم بسمات تفرد بها دون غيره من ألوان التشبيه، وفي هذا وظائف نفسية وجمالية تستحق أن نتوقف عندها لنجلو دقائقها وخفاياها وأسرارها.[1]

والتشبيه الضمني ليس قسيمًا لتشبيه التمثيل، أي ليس أحدهما يقابل الآخر، ذلك لأن النظر في تشبيه التمثيل إلى وجه الشبه، سواء كان التشبيه صريحًا أم غير صريح، أما النظر في التشبيه الضمني فهو من حيث كونه غير صريح.[2]

وعدَّ الصعيدي التشبيه الضمني من أنواع التشبيه المؤكد، حيث قال: وممَّا يدخل في التشبيه المؤَكَّد أيضًا التشبيهُ الضِّمْنِيُّ، وهو ما ليس بصريح، بل يُفهم طرفاه من المعنى.[3]

وقررت منيرة فاعور أنَّ كل تشبيه ضمني تمثيليٌّ، وليس كل تشبيه تمثيليٍّ ضمنيًّا، ودليل ذلك أنه مبني على صورتين مركبتين في ركني التشبيه، وأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وبذلك زادت فضائله، وارتقى في سلّم الحسن والتأثير درجات.[4] وليس كل تشبيه تمثيلي ضمنيًّا، إذ من التشبيه التمثيلي ما جاء على سبيل التصريح.

للتشبيه الضمني سمات يتسم بها، وتبرز منها جمالياته، وقد درستها منيرة فاعور مفصّلة، وأحسنت في ذلك، ومن أبرز هذه السمات: غياب أداة التشبيه في التشبيه الضمني، ومنها أن ركني التشبيه كليهما يُلمحان ويستنتجان بلا ترابط مباشر بينهما، ومنها أن صورة المشبه حالةٌ واقعة حسًّا وعقلًا بالنسبة إلى المتكلم، ومنها أن الغرض من الشبيه الضمني دائمًا هو بيان إمكانية وجود المشبه، ومنها أن أن المشبه به دائمًا ينزل منزلة فن (إرسال المثل)، ومنها أنه يأتي بين جملتين متناسبين من حيث الطول والقصر، وغير ذلك.[5]

---

[1] انظر: منيرة محمد فاعور. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب. ص: ٧.

[2] انظر: عباس، فضل حسن. (٢٠٠٩). البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع. ط١٢. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع. ص:٨٠.

[3] الصعيدي، عبدالمتعال. (د.ت). البلاغة العالية: علم البيان. القاهرة: مكتبة الآداب. ص:٦٤.

[4] انظر: منيرة محمد فاعور. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. مرجع سابق. ص: ٢١.

[5] انظر: منيرة محمد فاعور. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. مرجع سابق. ص: ١٣-٣٨.

التشبيه الضمني في ديوان الإمام الشافعي

وقع في ديوان الإمام الشافعي ما يصل إلى عشرة مواطن من التشبيه الضمني، وكان من أبرز أنواع التشبيه فيه، وهو أيضًا من أقوى الأدلة على شاعرية الإمام الشافعي، وقد استخدم الشافعي هذا الأسلوب للوصول إلى هدفه وغايته، وخاصة في إقناع المخاطب بنقل واقعة إلى المخاطب، فيأتي بدلائل وبراهين على صحة اقتناعه، وقد يستخدمه الشافعي وسيلة لتوجيه المخاطب وإرشاده، كما يستخدمه سبيلًا للتوبيخ.

وإذا كان من أغراض هذه الدراسة التأكيد على ما قرره الدارسون السابقون من شاعرية الإمام الشافعي، وذلك من خلال دراسة أشعاره التي فيها التشبيه الضمني، وتحليلها، وبيان قيمتها، فإن من الواجب أن توثّق الدراسة أن الأبيات التي سيجري البحث عليها غلب عليها الاقتناع بنسبتها للإمام الشافعي، لأن من المعروف أن شعر الشافعي ساد التداخل والخلط في نسبة كثير من الأبيات له.

وقد درس هذا الموضوع عبد الحميد محمد بدران تحت عنوان (التداخل والاختلاط في شعر الإمام الشافعي)، وذكر أن من أسباب هذا التداخل والاختلاط تشابه اتجاه الشاعر مع غيره، لكون معظم شعر الشافعي من شعر التأمل والحِكَم، والسمات الغالبة على هذا الضرب من الشعر يمكن أن تتمثل فكريًّا في العموم والإنسانية، التي يشترك فيها الشافعي مع كثير من الشعراء، ويمكن أن تتمثّل أسلوبيًّا في كثرة المحسنات البديعة، وشيوع الحِكَم والأمثال وغير ذلك، وهي ظواهر أسلوبية راجت في بعض العصور لدرجة صبغ معها كثير من شعراء العصر بهذا اللون، فتشابهت خطوطه.[1]

وعلى الرغم من كثرة التداخل والاختلاط في شعر الإمام الشافعي، فإن الباحث– بعد الرجوع إلى بحث الدكتور بدران– لاحظ أن هذا التداخل والاختلاط لم يقع في الأبيات التي فيها التشبيه الضمني، مما يمهّد للباحث الطريق إلى بحث هذا النوع من التشبيه، وتحليله، وإبراز سماته وجمالياته، بغية الوصول إلى إثبات مدى امتلاك الإمام الشافعي لأدوات الشعر. ويتضح ذلك في تحليل النماذج التالية:

النموذج الأول:

وَلَا تَرْجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيْلٍ فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءُ[2]

---

[1] انظر: بدران، عبد الحميد محمد عبد الحميد. (٢٠١٦). التداخل والاختلاط في شعر الإمام الشافعي .السعودية: مجلة العرب. مج: ٤٦. ع: ٩،١٠. ص: ٥١٩.

[2] الشافعي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ١. ص: ١١١.

معنى النص: السماحة لها معاني كثيرة، وتعني هنا الجود والكرم، أي: لا تتوقع ولا تطمع في الجود أو الكرم من إنسان معروف بالبخل، مطبوع عليه؛ فإنك لن تجد منه شيئًا من ذلك كما لا يجد الظمآن —وهو العطشان— في النار ماء يروي به ظمأه.

فالمشبه صورة مركبة من هيئة البخيل الذي لا يرجى منه أي عطاء ولا سماحة، فهذه الصفات لا تحصل منه أبدًا، فذلك لا ترج ولا تنتظر في تحصيلها منه، والمشبه به كذلك صورة مركبة من هيئة النار التي لا توجد فيها ماء، فلا يرجو الظمآن أن يجد ما يسقيه من هذه النار، ووجه الشبه كذلك صورة منتزعة من متعدد، وهي صورة شيء لا يفيد من يرجى حصول شيء منه.

وهذا هو شأن كل تشبيه ضمني، هو دائمًا تشبيه تمثيلي، ولا العكس[1]، لأنه مبني على صورتين مركبتين في ركني التشبيه، وأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وبذلك زادت فضائله، وارتقى في سلّم الحسن والتأثير درجات.

وإذا وضعنا هذا البيت في ميزان سمات التشبيه الضمني وجدنا أنه أتى بين الجملتين متناسبين من حيث الطول والقصر، وأن الكفتين متوازنتان متناسبتان لا قصر بينهما ولا طول، فصورة المشبه (لا تتوقع كرمًا من البخيل) تناسب صورة المشبه به من حيث الطول والقصر (لا تجد ماءً في النار)، بمعنى أننا لا نجد كرمًا من البخيل، كما لا نجد ماءً في النار، وفيه المبالغة ما لا يخفى.

كما وجدنا أيضًا أن الشطر الأخير أو المشبه به يمكن أن ينزل منزلة فن (إرسال المثل)، لما تضمنه من مسلمة، أو بديهية مستقرة في الطباع، وجارية مجرى العرف والقانون في الحياة.

وقد عُرف هذا الفن (إرسال المثل) بأن يأتي المتكلم في بعض كلامه ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها مما يحسن التمثيل به. فإن القيمة الفنية والإبداعية تكمن في الصورة المشبه به التي استحقت أن تكون مثلًا ساريًا لكل زمان ومكان.[2] فمن منا يشكك في عدم وجود النار في الماء.

وهذا يشير إلى الملكات التي كان يتسم بها القائل، لأنه لم يصل إلى ذلك حتى كابد في سبيل ذلك، وتحمل فيه المشقة الشديدة، وقطع إليه الشُقة البعيدة...ومعلوم أن الشيء إذا عُلم أنه لم يُنل في أصله إلا بعد

[1] انظر: منيرة محمد فاعور. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. مرجع سابق. ص: ٢١.

[2] انظر: بدران، عبد الحميد محمد عبد الحميد. (٢٠١٦). التداخل والاختلاط في شعر الإمام الشافعي .السعودية: دار المنظومة. مج: ٤٦. ع: ٩،١٠. ص: ٥١٩.

التعب، ولم يُدرك إلا باحتمال النصب، كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه، وأخذ الناس بتفخيمه، ما يكون لمباشرة الجهد فيه، وملاقاة الكرب دونه. [1]

النموذج الثاني:

أَصْبَحْتُ مُطَّرَحًا فِيْ مَعْشَرٍ جَهِلُوا حَقَّ الْأَدِيْبِ فَبَاعُوْا الرَّأْسَ بِالذَّنَبِ

وَالناسُ يَجْمَعُهُم شَمْلٌ وَبَيْنَهُم فِي العَقْلِ فَرْقٌ وَفِي الآدَابِ وَالحَسَبِ

كَمِثْلِ مَا الذَهَبِ الإبريزِ يَشرَكُهُ فِي لَونِهِ الصُفْرُ وَالتَفضيلُ لِلذَهَبِ

وَالعودُ لَو لَم تَطِب مِنهُ رَوائِحُهُ لَم يَفرِقِ الناسُ بَينَ العُودِ وَالحَطَبِ[2]

هذه الأبيات قالها الإمام الشافعي في اليمن يشكو من تجاهل الناس قدره، والمعنى: أنه يشكو بأنه أصبح منبوذًا في مجتمع الناس الذين لا يعرفون حق الأديب لضياع المقامات عند هؤلاء وانقلاب المعايير والموازين. وقد جمع الشافعي في هذا البيت بين التشبيه التمثيلي حيث شبه حالة الفرق بينه وبينهم بحالة الفرق بين النحاس والذهب، والوجه هو الشبه في الصفر بين شيئين مع الفرق بينهما، وبيْن التشبيه الضمني حيث لمح بعد ذلك بصورة تؤكد الفرق بينه وبينهم، فهم كالحطب الذي توقد النار، وهو كالعود الذي تطيب به رائحة الدّار. »وهي أبياتٌ صادرة عن قلب مكلومٍ، فإنَّ تصدُّرَ السفهاءِ من الرَّزايا المحْبِطة والبلايا المُدْمِية لقلوب النُّجباء، وجاء تعبيره عن هذه النفس المُحَطَّمة مصوِّرًا ما يمور فيها من انفعالات، وحسبك تشديد الطَّاء في (مُطَّرحًا) مما يوحي بشدة البعد والنفور، والتنكير في (مَعْشَرٍ) للتحقير، وكلمة (حَقّ) توحي بضرورة الرعاية، والسخرية المرَّة من تصرفهم في نهاية البيت الأول، فلا يشتري ذَنَبًا برأس إلا من يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والبيت الثاني يورد في الأسلوب الخبري غير المؤكَّد، لأنها حكمةٌ عامةٌ مُقرَّرة، لا يختلف عليها اثنان، والبيت الثالث فيه تشبيه بالغ الدلالة على مدى الفرق بينه وبينهم، فهم كالنحاس (الصُّفْر) وهو كالذهب الخالص، والبيت الرابع يضيف صورة أخرى تجسِّد ذلك الفرق، فهم كالحطب الذي توقد النار، وهو كالعود الذي تطيب به رائحة الدّار [3]

النموذج الثالث:

أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ السَّفِيْهِ فَكُلُّ مَا قَالَ فَهْوَ فِيْهِ

فَمَا ضَرَّ بَحْرَ الْفُرَاتِ يَوْمًا إِنْ خَاضَ بَعْضُ الْكِلَابِ فِيْهِ[4]

---

[1] انظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (١٩٩١). أسرار البلاغة. محمود شاكر (محقق). القاهرة: مطبعة المدني. ص: ١٤٥.

[2] الشافعي. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ٢٢. ص: ١٤٧.

[3] انظر: السواحلي. (٢٠١٥). شعر الفقهاء في الميزان: الإمام الشافعي نموذجًا. مرجع سابق. ص: ٩٢-٩٣.

[4] الشافعي. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ٤٥. ص: ٤١٧.

ومعنى البيت أن الشاعر طلب من المتلقي الابتعاد عن الجاهل السفيه، إذ كلامه مردود عليه، لا يضرّ المتلقي شيئًا، كما أن النهر سيبقى عذبًا نقيًّا وإن خاض فيه الكلاب أو لوّثته.

فالمشبه هو صورة الجاهل السفيه الذي لا قيمة لكلامه، والمشبه به هو صورة عدم طروء أي ضرر للنهر الواسع بما لوثته الكلاب أو خاض فيه. والوجه هو عدم الضرر في كل.

فقد يحمل هذا التشبيه الضمني بين طياته لطائف معنوية، أو وظائف نفسية ترشد المتلقي إلى الطريق القويم، وذلك بوعظه، أو بإسداء النصح والإرشاد، «فالمشبه هنا اتخذ صورة إنشاء طلبي نوعه الأمر، والأمر هنا ليس أمرًا صرفًا، بل يحمل في طيّاته معاني الوعظ والنصح والإرشاد، فهو يطلب من المتلقي أن يبتعد عن الجاهل السفيه الذي يُلقي الكلام الجارح جزافًا بلا ورع ولا مراعاة، وكلّ ما يقوم به من عملٍ شائنٍ مردود عليه فعلًا وقولًا. وحتى لا يبقى الكلام بلا دليل أو برهان يسوق الشافعي إثباتًا على صحة ما جاء في ادّعائه، وهو أن نهر الفرات سيبقى عذبًا نقيًّا وإن خاض فيه الكلاب أو لوّثته. وبذلك بلغ النصحُ غايته قوةً وتأثيرًا بفعل هذه المشابهة الدقيقة بين الطرفين. [1]

وقد كستْ صورة المشبه به في هذا التشبيه الضمني الكلامَ منقبةً، واستثارت بمعانيها ومبانيها العقول والقلوب، فكان الوعظ فيها كما قال الجرجاني: «أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يُجلِيَ الغياية، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويُشفي الغليل. [2]

النموذج الرابع:

قُلْ بِمَا شِئْتَ فِيْ مَسَبَّةِ عِرْضِي فَسُكُوْتِي عَنِ اللَّئِيْمِ جَوَابُ

مَا أَنَا عَادِمِ الجَوَابِ وَلَكِنْ مَا ضَرَّ الأُسْدَ أَنْ تُجِيبَ الكِلَابُ[3]

معنى النص: قُلْ فِيَّ ما تشاء من طعنٍ، وهتك عرضٍ؛ فإنك لن تسمع مني جوابًا ولا ردًّا، فسكوتي هو الجواب الملائم لجهل اللؤماء أمثالك، فليس السكوت لعدم ما أرد به عليك، ولكنه ترفعُ العظماء عن السفلة الجهلاء كما تترفع الأسود أن تجيب الكلاب النابحة بالنباح.

---

[1] انظر: منيرة محمد فاعور. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. مرجع سابق. ص: ٣٢-٣٣.

[2] انظر: الجرجاني. (١٩٩١). أسرارالبلاغة. مرجع سابق. ص: ١١٦.

[3] الشافعي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ١٩. ص: ١٤٣.

والبيتان من التشبيه الضمني الذي يفهم من السياق، فقد شبه الإمام الشافعي حالة سكوته عن هاتك عرضه أنه ليس لقصوره عن الجواب، بحالة الأسود التي لا ترد الدهرَ على الكلاب النابحة بنباح مثله. والجامع عدم الضرر بعدم الرد والجواب في كل. وقد علّمنا الشافعي بهذا البيت كيفية معاملة اللؤماء.

وقد حمل البيت الأول، والشطر الأول من البيت الثاني في طياته معنى غير مألوف، أو ارتاب المتلقي فيه، إذ الغالب أن السكوت ليس جوابًا، وإنما الجواب يكون بالكلام، وأتى الشافعي دليله على صحة ادعائه، وأن لما ادعاه أصلًا له في الوجود، فيسلم المتلقي.

النموذج الخامس:

تَرُومُ العِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِي[1]

معنى النص: أنَّ الشافعي يوبّخ مخاطبه على ما بدر منه من النوم ليلًا، لأن طلب العلا يستدعي مواصلة السعي ليل نهار، للحصول على المبتغى، ثم يحتاج لدعواه بصورة من الواقع المشاهد المحسوس، وهو أن صياد اللؤلؤ لا يتوقف عند سطح البحر ليقتنصها، بل يغوص في الأعماق سعيًا وراء صيده الثمين الوفير.

فالمشبه هنا كما رأينا صورة من ينام ليلًا وهو طالب العلا، والمشبه به صورة صياد اللؤلؤ يغوص في أعماق البحر، والوجه هو وجوب مواصلة السعي للحصول على المبتغى في كل. وقد استخدم الشافعي هذا الأسلوب للوصول إلى هدفه وغايته وهو التوبيخ.

فهذا التشبيه الضمني ليس فقط لغياب أداة التشبيه، بل لغياب المباشرة في التشبيه، ولإيثار التلميح دون التصريح به، وبذلك ارتقى سلم البلاغة درجات، «فالتشبيه كلما دقّ وخفي كان أبلغ وأنبل، وأشد تأثيرًا على المشاعر.»[2] وهذه السمة البارزة فيه، ولا يعني أن حذف الأداة، أو غيابها يجعل التشبيه ضمنيًّا، فقد تغيب الأداة ويبقى التشبيه صريحًا واضحًا مقدَّرًا، كقول كعب بن زهير:

إنَّ الرسُولَ لَنُورٌ يُستضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ[3]

فهذا تشبيه صريح ظاهر مقدَّر على غياب أداة التشبيه.

النموذج السادس:

ارْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِها وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الأَهْلِ فِي حُرَقِ

مَنْ ذُلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِبَلْدَتِهِ فَالِاغْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الخُلُقِ

---

[1] الشافعي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ١٦٣. ص: ٣٣٠.

[2] انظر: على الجارم ومصطفى أمين. (د.ت). البلاغة الواضحة. القاهرة: دار المعارف. ص: ٤٦.

[3] كعب بن زهير بن أبي سلمى. (١٩٩٧). ديوان كعب بن زهير. علي فاعور (محقق وشارح)، بيروت: دار الكتب العلمية. ص: ٦٧.

فَالعَنْبَرُ الخَامُ رَوْثٌ فِي مَواطِنِهِ وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ

وَالكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الأَحْجَارِ تَنْظُرُهُ فِيْ أَرْضِهِ وَهْوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطُّرُقِ[1]

معنى النص: أن من ابتُلي بالمقام في أرض يُهان ويُظلَم فيها، ولا يعرف له أهلُها حقًّا ولا حرمة، فليترك أرضه، وليرحل عن هذه الديار وأهلها بلا أسف ولا حزن، لأن الحياة ستحلو له لاحقًا. وهذا هو صورة المشبه، والشافعي لا يترك كلامه دون دليل، بل يسوق أدلةً من الواقع الخارجي ليُقاس عليها، فيأتي بصورتين متشابهتين لحاله، الأولى: العنبر الذي لا يقيم الناس له وزنًا في أرضه، لكنه يُحمل على الأعناق حين يحلّ في ديار غريبة بعيدة عن دياره. والأخرى: الكحل فهو في موطنه الأصلي نوع من الأحجار ملقى على قارعة الطرق، لكن بعد رحيله عن موطنه صار من مواد الزينة موطنه الأجفان على وجوه النساء. والوجه هو التغرب يرفع المكانة في كل.

فالمشبه كما ترى صورة واحدة، والمشبه به صورتان اثنتان، وقد تعددت صورة المشبه به، وفي تعددها دليلٌ على براعة القائل، وقدرته على استحضار عدة صور لمشبه واحد.[2]

النموذج السابع:

قد تتعدد صور المشبه به لتصل إلى أكثر من ذلك، بل تصل إلى ست صور، قال الشافعي:

سَافِرْ تَجِدْ عوضًا عَمَّن تُفارِقُهُ وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذيذَ العَيْشِ في النَّصَبِ

إِنِّي رَأَيْتُ رُكُوْدَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

وَالأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ القَوْسِ لَمْ يُصِبِ

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

والتِّبْرُ كالتُّرْبِ مُلْقًى في أَمَاكِنِهِ وَالْعُوْدُ فِيْ أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَطَبِ[3]

معنى النص: إن حال من لم يفارق أهله وديارَه، مثل حال الماء الراكد الذي لا يجري يؤدي به ذلك إلى فساد حاله، وفقدان طبيعته الطيبة. وحال الأسود لو بقيت في مكان واحد لم تنل من الصيد شيئا، وحال والسهم لو لم تخرج من القوس لم تصب هدفًا، وحال الشمس لو ظلت واقفة طول الدهر لسئم الناس من شدة الحرارة، وحال التِّبْرَ، وهو فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا، ملقى في أماكنه بلا درجة ولا قيمة حتى إذا أُخِذ من مكانه وتناولته أيدي نقاد الذهب والدنانير أصبح ذا قيمة غالية، وحال والعود في أرضه حطبٌ مجردٌ، فإذا زحزح عن

[1] الشافعي. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ١٣٦. ص: ٢٩٧.

[2] انظر: منيرة محمد فاعور. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. مرجع سابق. ص: ٢٩.

[3] الشافعي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ٢٥. ص: ١٥١.

مكانه وتمت عليه العملية علت درجته، وعز مطلبه كسائر الجواهر. والجامع هو عدم ترفع قيمة شيء إذا استقر في مكانه.

فالمشبه كما ترى صورة واحدة، والمشبه به ست صور، فانظر كيف احتشد الشافعي، واجتهد في طلب ستة مشبهات بها لمشبه واحد، ليقيس عليها المخاطب صورة المشبه، فيقطع عنه بذلك سبل الردّ أو الرفض، وبذلك تتمكن الصورة في نفسه، وتستقر.

النموذج الثامن:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ تُبَاعُ جَمِيْعُهَا بِفَلْسٍ لَكَانَ الفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا

وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا نُفُوسُ الوَرَى كَانَتْ أَجَلَّ وَأَكْبَرَا

وَمَا ضَرَّ نَصْلُ السَّيْفِ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ إِذَا كَانَ عَضْبًا حَيْثُ وَجَّهْتَهُ فَرَى

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَزْرَتْ بِبِزَّتِي فَكَمْ مِنْ حُسَامٍ فِيْ غِلَافٍ تَكَسَّرَا[1]

معنى النص: يقول أن العبرة باللابس لا بالملابس، إذ ثيابه لو تباع جميعها لكانت أرخص من الفلس، ولكن لا عبرة بهذا، بل العبرة بلابسها، إذا ما قيس لكان أجل وأغلى من نفوس الناس كلها، كما رأيت الحديد الذي صُنِع منه السيف جيدًا، لا يضره فسادُ غمده؛ فكيفما استخدمه صاحبه يقطع له ما يريد قطعه.

فالمشبه هو حالته الظاهرية التي عابها الناس وسخروا منه لأجلها، والمشبه به هو حال غمد السيف الذي عجز عن حماية ما فيه عن التكسر، ولا يضر السيف، فالوزر على الغمد لا على السيف كما أن اللوم يعود إلى الذين ينتقصون منه لا إليه، والوجه هو عدم ضرر حقيقة شيء بفساد ظاهره.

النموذج التاسع:

تَبْغِي النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيْقَتَهَا إِنَّ السَّفِيْنَةَ لَا تَجْرِيْ عَلَى الْيَبِسِ [2]

معنى النص :إن السلامة والنجاة لا تكون إلا إذا سار الإنسان في طريق النجاة، وغير ذلك لا يكون، فالسفينة لا تسير على اليابسة، وإنما على الماء.

فقد شبه حالة عدم إمكانية الحصول على مطلوب لم يقم صاحب الطلب بموجب ذلك، بحالة أخرى تقنع العقل وهي عدم إمكانية سير السفينة على الصعيد اليابس. والوجه عدم حصول شيء في كل بسبب عدم السلوك على سببه.

[1] الشافعي. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ٨٣. ص: ٢٢٥-٢٢٦.

[2] الشافعي. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ١٠٢. ص: ٢٥٢.

وقد استخدم الشافعي هذا البيت سبيلًا للإرشاد والنصح، كأنه يريد أن ينصح المخاطب بقوله: كيف تتمنى الجنة ولا تعمل بما يرضي الله تعالى، تتمنى النجاح ولم تعد عدتك للنجاح، اعرف أن للنجاة طريقاً يجب أن تسلكه. هذا ما عناه الشافعي، وهو بيت حكمة وعظة لأولي الألباب.

النموذج العاشر:

قَالُوْا سَكَتَّ وَقَدْ خُوْصِمْتَ؟ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ

وَالصّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَق شَرَفُ وَفِيْهِ أَيْضًا لِصَوْنِ الْعِرْضِ إِصْلَاحُ

أَمَا تَرَى الْأُسْدَ تُخْشَى وَهيَ صَامِتَة وَالْكَلْبَ يُخْسَى لَعُمْرِي وَهُوَ نَبَّاحُ[1]

معنى النص: قالوا سكتَّ، ولم ترد على سفاهتهم، وضح أنهم انتظروا عليك، لأنك لم ترد عليهم، فقلتُ لهم: إن الجواب لِبابِ الشر مفتاح، والصمت عن جاهل لا يفقه شيء عن الواقعة المنازعة عليها، أو أحمق لا يرى يسمع إلا ما تقول له نفسه ورأيه هو ومن يري فيهم نفسه، فالصمت عن هولاء شرف وكرامة، وفيه أيضًا صون للعرض، لأن الذي يسبني المفروض أن أرد عليه بنفس الكلام، وهنا الصمت عن الرد فيه صون لعرضي. أما تشاهدون الأسود يخاف منها الجميع ويهربون منها وهي صامتة، والكلب يبوح وينعق وهو خائف.

فالمشبه هو صورة صَمْتِ الشخص عن رد الجاهل لصون العرض، والمشبه به هو صورة صمت الأسود التي يخاف منها الجميع، وصورة بوح الكلب وهو خائف، والجامع الشرف والكرامة في الصمت.

هذه هي التشبيهات الضمنية في شعر الإمام الشافعي، وكلها تدل على مدى امتلاك الشاعر مقومات الشعر، وهذا النوع من التشبيه البديع لا تجده إلا عند فحول الشعراء، وكبار الكتاب، والشعراء الموهوبين، لأن هذا التشبيه يمتاز بالدقة، والخفاء، والابتكار، وقوة الترابط بين الطرفين،[2] إذ التشبيه يذكر بمثابة البرهان والدليل على فكرة غريبة، وحكم بعيد يستبعد حصولُه، وإمكان وجوده وتحققه في عالم الواقع، ويأتي بمثابة علة وسبب لمعلول، ومسبب يشك في حصوله، ويحتاج إلى دليل وبرهان لإزالة ذلك الوهم والشك، العالق في النفوس، فإذا ذكر الدليل زال الشك، وتقرر في ذهن السامع، وتمكن في نفسه فضل تمكن، وحقق الغاية الفنية، وهي التأثير في العواطف والمشاعر الإنسانية. وإنما يلجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب من التشبيه، نزوعًا إلى الابتكار، وإقامة

[1] الشافعي. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. مرجع سابق. قطعة رقم ٤٦. ص: ١٧٨.

[2] انظر: الجربي، محمد رمضان. (٢٠٠٩). البلاغة التطبيقية: دراسة تحليلية لعلم البيان. القاهرة: مكتبة الآداب. ص: ١٣٦.

للدليل على الحكم، الذي أسنده إلى المشبه، رغبة في خفاء التشبيه، لأنه كلما دقّ وخفي كان أبلغ وأنبل، وأشد تأثيرًا على المشاعر.[1]

الخاتمة

كان الإمام الشافعيُّ حجَّةً في اللغة كما كان حجة في السنة النبوية، وفي الفقه الإسلامي وأصوله،كما أنه شاعر مجيد، ورام ماهر، ومناظر نابه، وعبقري فصيح، والثابت من شعره لا يقل جودة عن شعر الشعراء المشهورين. حيث أتاحت له إقامته في مضارب قبيلة هذيل –أفصح القبائل العربية آنذاك –منذ نعومة أظفاره، أن يأخذ عن العرب الأقحاح وأن يرضع لبان الفصحى من منبعها. وإن يرَ البعض أن شعر الشافعي ذو شبه بشعر الفقهاء، وإن كان في المستوى التعبيري أعلى من عامَّة الشعر المنسوب إلى الفقهاء. وقد قدَّم الدارسون أدلة كثيرة على شاعرية الإمام الشافعي، وإدخاله في ضمن الشعراء، منها: امتلاكه لأدوات الشعر، ومعالجته شتى الأغراض، وجودة الصياغة الفنية.

وقد قامت هذه الدراسة بتحقيق مدى امتلاك الإمام الشافعي لمقومات الشعر من خلال دراسة أشعاره التي فيها التشبيه الضمني، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- التشبيه الضمني من أبرز أنواع التشبيه في ديوان الإمام الشافعي، وقد استخدم الشافعي هذا الأسلوب للوصول إلى هدفه وغايته، وخاصة في إقناع المخاطب بنقل واقعة إلى المخاطب، فيأتي بدلائل وبراهين على صحة اقتناعه، وقد يستخدمه الشافعي وسيلة لتوجيه المخاطب وإرشاده، كما يستخدمه سبيلًا للتوبيخ.

٢- التشبيه الضمني من أقوى الأدلة التي تدل على امتلاك الإمام الشافعي مقوماتِ الشعر.

٣- جاء في التشبيه الضمني في شعر الإمام الشافعي قدر غير قليل على النمط الفنِّيّ الذي تجري دماء الصورة في أوصاله، وترتجف أجنحته محلّقةً في آفاق التخييل، ويتراءى فيها الإمام وهو يصبُّ ماء خياله الخصيب.

المصادر والمراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (د.ت). لسان العرب. عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي (محققون). القاهرة: دار المعارف.

أبو خضيري، عارف كرخي. (٢٠١٥). الإمام الشافعي شاعرًا. بروناي دار السلام، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، مركز بحوث المذهب الشافعي: مجلة الشافعي. ع: ١

[1] انظر: على الجارم ومصطفى أمين. (د.ت). البلاغة الواضحة. القاهرة: دار المعارف. ص: ٤٦.

الافتراضي. المدينة المنورة. على الرابط http://almajma3.blogspot.com/2017/06/blog-post.html آخر زيارة (٢٠١٩/٥/٣)

بدران، عبد الحميد محمد عبد الحميد. (٢٠١٦). التداخل والاختلاط في شعر الإمام الشافعي .السعودية: مجلة العرب. مج: ٤٦. ع: ٩،١٠.

البيهقي، أحمد بن الحسن. (١٩٨٧). الردّ على الانتقاد على الشافعي في اللغة. عبد الكريم بكّار (محقق). بريدة: دار البخاري.

جبل، محمد حسن. (د.ت). الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته. القاهرة: دار الفكر العربي.

الجربي، محمد رمضان. (٢٠٠٩). البلاغة التطبيقية: دراسة تحليلية لعلم البيان. القاهرة: مكتبة الآداب.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (١٩٩١). أسرار البلاغة. محمود شاكر (محقق). القاهرة: مطبعة المدني.

الذهبي، محمد بن أحمد، أبو عبد الله. (١٩٩٠). سير أعلام النبلاء. شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي (محققان). بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم .

الزعبي، محمد عفيف. (١٩٧١). ديوان الشافعي. محمد عفيف الزعبي (محقق). بيروت: دار الجيل.

السواحلي، مصطفى محمد رزق. (٢٠١٥). شعر الفقهاء في الميزان: الإمام الشافعي نموذجًا. برونای دار السلام، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، مركز بحوث المذهب الشافعي: مجلة الشافعي.ع: ٢

الشافعي، محمد بن إدريس. (٢٠٠٩). ديوان الإمام الشافعي. محمد عبد الرحيم (جامع وشارح)، بيروت: دار الفكر.

_____ (٢٠٠٦). ديوان الإمام الشافعي. صالح الشاعر (محقق). القاهرة: مكتبة الآداب.

_____ (٢٠٠٧). ديوان الشافعي. إحسان عباس (محقق). ط٣. بيروت: دار صادر.

الشعكة، مصطفى. (١٩٩٠). الإمام محمد إدريس الشافعي. القاهرة: دار الكتاب المصري.

الصاعدي، عبد الرزاق. (٢٠١٧). هذه عصور الاحتجاج. مقالة منشورة على شبكة مجمع اللغة العربية

الصعيدي، عبد المتعال. (د.ت). البلاغة العالية: علم البيان. القاهرة: مكتبة الآداب.

عباس، فضل حسن. (٢٠٠٩). البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع. ط١٢. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

على الجارم ومصطفى أمين. (د.ت). البلاغة الواضحة. القاهرة: دار المعارف.

فاعور، منيرة محمد. (٢٠١٨). التشبيه الضمني: وقائع ودلائل. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

فجال، محمود. (٢٠٠٧). الاحتجاج في العربية: المحتج بهم، زمان الاحتجاج. بحث منشور على شبكة الألوكة. على الرابط https://www.alukah.net/literature_language/0/253/ آخر زيارة (٢٠١٩/٥/٣).

القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. (٢٠٠٥). الإيضاح ومعه بغية الإيضاح. ط١٧. القاهرة: مكتبة الآداب.

القيرواني، الحسن بن رشيق. (٢٠٠٠). العمدة في صناعة الشعر ونقده. النبوي عبد الواحد شعلان (محقق). القاهرة: مكتبة الخانجي.

كعب بن زهير بن أبي سلمى. (١٩٩٧). ديوان كعب بن زهير. علي فاعور (محقق وشارح)، بيروت: دار الكتب العلمية.